سلسلة مطويات شبكة بينونة

رمضان شهر الصبر

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وليُّ الصابرين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله مبشِّر مَن صبر بالثواب الجزيل والأجر العظيم، أما بعد:

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر: يذهبن وحَرَ الصدر»[1]، أي: غِلَّه وحقده وغِشَّه.

وهذه سِمَة عظيمة، ووصف جليل لهذا الشهر المبارك من نبيِّنا ﷺ «شهر الصبر»، تدعو المسلم للوقوف عنده والتأمل فيه.

فالصبر مقام عظيم، ومنزلة عالية، أمر الله به، ورغَّب فيه، وأثنى على أهلِه، وعلَّق الفلاح على الاتِّصاف به، وأخبر عن مضاعفة أجر الصابرين، وبيَّن أنهم هم المنتفعون بوعظه وآياته، فالصابرون من أحباب الله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، والصابرون مسدَّدون موفقون معانون من الله قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، والصابرون لا حدَّ لثوابهم عند الله قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، والصبر نِعْم العون على الإقبال على الله والثبات على طاعته قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقد قرر علماؤنا قديماً وحديثاً بعد استقراء النصوص الشرعية الواردة في الصبر، أنَّ الصبر الذي يحبه الله تعالى ويرضاه ينقسم إلى أقسام ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله تعالى

(١) رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (١٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٣٢).

وقضائه العدل في عباده؛ فمَن قام بأنواع الصبر وحقَّقها في نفسه وفيمن حوله نال الخير وفاز بالأجور، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال ﷺ: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» (٢).

وإنَّ من فضائل صيام شهر رمضان أن جَمَع الصبر بأنواعه كلها، وبهذا يُدرك الصائم سبب وصف نبيِّنا ﷺ له بـ(شهر الصبر)، ولهذا عَظُم قدر الصوم عند الله وشَرُف القائم به، فكما أنَّ ثواب الصبر غير محدود وأجره غير معلوم فكذلك الصوم، قال تعالى في الصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال ﷺ في الصوم: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: كل عمل ابن آدم له إلَّا الصيام، فإنه لي وأنا أَجْزي به» (٣)، فأخفى ثواب الصيام كما أخفى ثواب الصبر.

ولا يخفى على مسلم أنَّ الصومَ يحبسُ النفسَ عن شهواتها، ويمنعها عن ميولاتها المحرَّمة، ويدعوها إلى مراقبة الله والوقوف عند حدوده، يبيِّن هذا قوله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عَزَّوَجَلَّ: إلَّا الصوم، فإنه لي وأنا أَجْزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي» (٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أَيْ ربِّ، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفِّعْني فيه، قال: فيُشَفَّعان» (٥).

وهذا هو مقصود الصيام: حَمْل النفس وتعويدها على تَرْك ما نهى الله عنه، والترفُّع عن سفاسف الأمور ودنيئها،

---

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).
(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
(٤) رواه مسلم (١١٥١).
(٥) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لم يدَعْ قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [٦]، و«قول الزور»: كل قول محرَّم يجب على الصائم اجتنابه والبُعد عنه، «والعمل به»: كل عمل يحرم على الصائم فِعْله أو القيام به.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنَّما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابَّك أحد وجهل عليك فقل: إني صائم» [٧].

وليُعلم أنَّ حبس النفس عمَّا نهى الله عنه وحرَّمه لا ينتهي بغروب الشمس، بل هو مع العبد ما دامت الروح تجري في الجسد، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

● **أيها الصائم الموفَّق:** الصبر على طاعة الله، والإقبال على عبادة الله، والإكثار من طاعته، وتنويع السُّبل المشروعة للتقرب إليه يتطلب من الصائم جهاداً لنفسه، وحبساً لها على المداومة على العمل الصالح والثبات عليه، خصوصاً في هذه العشر الوسطى التي نعيشها، فإنَّ من الملاحظ أنَّ الكسل يتسلل إلى النفوس، وعمل الخير يَضعُف في القلوب في هذه الأيام، ويظهر ذلك في التأخر عن الحضور إلى الصلوات وقلَّة المصلين في المساجد، وعدم التحسُّر على فوات الطاعة، أو عدم التألم بفَقْد لذة الصيام وحلاوته، وإضاعة الوقت في اللهو، والتسويف في أعمال البر-وكأنَّ هذه الأيام ليست من رمضان- وما هكذا شأن الصادق المقبل على الله، والواجب على المسلم الصبر على طاعة الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، كما ينبغي عليه العناية بالاقتداء

(٦) رواه البخاري (١٩٠٣).
(٧) رواه الحاكم (١٥٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٢).

برسول الله ﷺ في صبره وتوكله وصدقه مع الله في عبادة الله، فمن صَدَق توكله على الله في حصول شيء ناله، وهكذا يلزم المؤمن مجاهدة النفس على الصيام لينال رضى الله ويأتيه التوفيق من ربِّه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وليستحضر على الدوام أن أيام هذا الشهر ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] هكذا وصفها الله، فهل يليق بأن تقابَل بهذا الفتور والتراجع عن الخير؟!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

● **فيا مَن وفَّقه الله لإدراك شهر رمضان:** إن الصبر على أقدار الله تعالى وما كتبه على عباده أحد أنواع الصبر التي يحققها الصائم، فإنَّ الصائم لا يخلو في الغالب من مشقة في البدن، وحصول شيء من آلام الجوع والعطش، وتعب في الجسد، وضعف في النفس، فالواجب عندها: مقابلة هذه الآلام بالصبر والاحتساب، «وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه» [٨] ويؤجر عليه.

فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نَصَب -أي: تعب- ولا وَصَب -أي: مرض-، ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها، إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**» [٩].

وربَّما ابتُلي الصائم بمَن يجهل عليه ويخاصمه، فالواجب عندها كظم الغيظ وأخذ الحقِّ بالحُسنى فإنَّ «**مَن كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذه، دعاه الله عَزَّوَجَلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيِّره الله**

(٨) لطائف المعارف لابن رجب (ص٢٨٤).
(٩) رواه البخاري (٥٦٤١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

من الحور العين ما شاء » [١٠] هكذا وصَّانا نبيُّنا ﷺ.

فعلى الصائم الموفَّق إلزام نفسه طاعة ربِّه، والوقوف عند هدي نبيِّه ﷺ، فإنه لا شرف للنفوس ولا عِزَّ ولا توفيق ولا سداد إلَّا بطاعة الله قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

فمَن أتى بصيام شهر رمضان على وجهه، وحقَّق فيه الإخلاص لربِّه، وجدَّ في الاتِّباع للنبي ﷺ في أدائه، واستكمل أنواع الصبر في القيام به؛ نال بذلك أفضل الثمرات، وفاز بأتمِّ الأجور وأعلاها، والتي من بينها: سلامة الصدر من الآفات، وخلُوه من الأحقاد، وخلاصه من الغش والبغضاء للمسلمين، وظفره بطهارة قلبه من الشحناء، وبُعده عن الضغائن، وامتلاء فؤاده من حب الخير للمسلمين، وفرحه بوصول نِعَم الله إليهم، ورغبته في نفعهم، وسخاوة نفسه في الإحسان إليهم، فيكون تقيّاً، نقيّاً، لا يحمل إثماً ولا بغياً، ولا غلّاً، ولا حسداً على أحد، فيمسي ويصبح وقلبه سليماً لكل مسلم، «وأيُّ لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برِّ القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبَّته، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلَّا عيش القلب السليم؟» [١١].

ومَن سَلِم صدره زكَتْ أخلاقه، وطابت حياته، وهنأ عيشُه، ووُفِّق لكل « خُلُق اتَّفقت على حُسْنه الشرائع والفِطَر والعقول» [١٢].

وانطبق عليه قوله ﷺ: « صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر: يذهبن وحَرَ الصدر» [١٣].

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١٠) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٥٣).

(١١) الجواب الكافي لابن القيم (ص٢٨٢).

(١٢) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٧).

(١٣) سبق تخريجه: (ص٢).